المقالات:

دور مسرح الأطفال فى تنشئة الطفل العربي: دراسة تحليلية

د. خالد صلاح حفنى محمود
أستاذ مساعد أصول التربية
كلية التربية – جامعة الإسكندرية

المقدمه:

لم يكن مارك توين Mark Tuin مبالغاً حين قال إن مسرح الطفل هو أعظم الاختراعات في القرن العشرين، وإنه أقوى معلم للأخلاق، وخير دافع إلى السلوك الطيب، اهتدت إليه عبقرية الإنسان لأن دروسه لا تلقَّن بالكتب بطريقة مرهقة أو في المنزل بطريقة مملة، بل بالحركة المتطورة التي تبعث الحماسة». (ورينفريد، 1966، 44)

مسرح الطفل هو ذلك المسرح الذي يخدم الطفولة سواء أقام به الكبار أم الصغار مادام الهدف هو إمتاع الطفل والترفيه عنه وإثارة معارفه ووجدانه وحسه الحركي، أو يقصد به تشخيص الطفل لأدوار تمثيلية ولعبية ومواقف درامية للتواصل مع الكبار أو الصغار. وبهذا يكون مسرح الطفل مختلطاً بين الكبار والصغار. ويعني هذا أن الكبار يؤلفون ويخرجون للصغار ماداموا يمتلكون مهارات التنشيط والإخراج وتقنيات إدارة الخشبة، أما الصغار فيمثلون ويعبرون باللغة والحركة ويجسدون الشخصيات بطريقة مباشرة أو غير مباشرة اعتماداً على الأقنعة. ومن هنا، فمسرح الصغار هو مسرح للطفل مادام الكبار يقومون بعملية التأطير، وهو كذلك مسرح الطفل إذا كان مسرحاً يقوم به الطفل تمثيلاً وإخراجاً وتأليفاً. ومن هنا، فمسرح الطفل يعتمد تارة على التقليد والمحاكاة، وتارة أخرى يعتمد على الإبداع الفني والإنتاج الجمالي.

ويعد مسرح الأطفال واحداً من الوسائل التربوية والتعليمية التي تسهم في تنمية الطفل تنمية عقلية وفكرية واجتماعية ونفسية وعلمية ولغوية وجسمية، وهو فن درامي تمثيلي موجه للأطفال يحمل منظومة من القيم التربوية والأخلاقية والتعليمية والنفسية على نحو نابض بالحياة من خلال شخصيات متحركة على المسرح مما يجعله وسيلة هامة من وسائل تربية الطفل وتنمية شخصيته لاسيما أن الطفل يرتبط ارتباطاً جوهرياً في التمثيل منذ سنوات عمره الأولى عندما كان يحول خياله الإيهامي إلى لعب هو مسرح إيهامي يؤلفه ويخرجه ويمثله الطفل ذاته لذلك تكون علاقة الطفل بالمسرح علاقة اندماجية، وهنا تكمن أهمية المسرح وخطورته.

فالمسرح هو أنسب الأشكال الفنية للتواصل مع الطفل والتعبير عن عالمه الخاص، إذ توجد نقاط مشتركة عديدة بين الطفل والمسرح كالتقليد والمحاكاة والطابع الاندماجي, حيث يميل الطفل إلى الاندماج والتفاعل مع أقرانه, كما يندمج الممثل مع المجموعة أو الفريق الذي يمثل معه, وهناك عناصر مشتركة أخرى كالخيال والدهشة والتداعيات اللفظية, والحوار المنبعث عن مواقف اللعب الانفرادي والجماعي.

وعلى ضوء معاناة الكثير من الأطفال العرب اليوم من ظروف وأوضاع إنسانية غاية فى الصعوبة فى ظل ما تمر به دول المنطقة من ظروف سياسية واقتصادية واجتماعية مقارنة بنظرائهم في باقي دول العالم فهناك أكثر من 15 مليون طفل عربي يعيشون في ظروف إنسانية

صعبة، ويواجهون أخطاراً عدة بسبب الحروب والكوارث، ويشير تقرير اليونيسف (2015) إلى ارتفاع معدل وفيات الأطفال في العالم العربي بسبب الفقر الشديد، وتدني مستوى الدخل الفردي، وتدهور الأوضاع المعيشية بما ينعكس في النهاية سلباً على الوضع الصحي والتعليمي للطفل؛ وارتفاع نسب التسرب في مراحل التعليم الأولى، وانتشار الأمراض المرتبطة بسوء التغذية. (UNICEF, 2015)

ووفقاً لتقرير اليونسكو (2015) فإن نصيب الدول العربية من عمالة الأطفال هو (10) مليون طفل، منهم (2,8 مليون) طفل في مصر وحدها ، ويوجد في الدول العربية حوالي (5 مليون) طفل غير ملتحقين بالتعليم الابتدائي, و(4 ملايين) مراهق تقريباً غير ملتحقين بالتعليم الثانوي. وكل تلك الأرقام وغيرها تدق لنا ناقوس الخطر وتبرز خطورة مشاكل مرحلة الطفولة العربية وتداعياتها والحاجة إلى البحث عن حلول للتصدى لها. (UNESCO, 2014)

وفى ضوء هذه الأرقام المفزعة تتزايد الحاجة إلى تنمية الثقافة العلمية للأطفال العرب وثقافة ذوي الاحتياجات الخاصة والثقافة الترويحية والصحية والبيئية لدى الأطفال، والاهتمام بالتقنية الحديثة في مجالات ثقافة الطفل، وعلى أهمية تفعيل دور الفنون والمتاحف واللعب في تنمية ثقافة الطفل العربي وتقديم برامج تلفزيونية وإذاعية تساعد على زيادة وعي الطفل، وتعمل على تنميته بالإضافة إلى مراعاتها لخصوصيته العربية.

ويمثل المسرح رافد من روافد تغذية خيال ومدارك الطفل، وهو أحد الوسائل الفنية التي طرحها التربويون للاستفادة من تأثيرها على عقلية الطفل وخياله باستغلال المسرح كوسيط لإيصال المعلومة العلمية والقيمة المثالية وجملة المعارف وتهذيب السلوك عبر فن المحاكاة والتجسيد، وعبر العديد من المحاولات ذهب التربويون إلى مسرحة المناهج المدرسية، فالمسرح وعبر التاريخ بدأ تربوياً وتعليمياً.

مشكلة البحث:

رغم أهمية مسرح الطفل، والدور الذي يقوم به إلا أنه فى العالم العربي لا زال يعاني العديد من الإشكاليات، والصعوبات التى تعوق قيامه بدوره على الوجه المأمول، وهناك العديد من التساؤلات التي تطرح بنفسها في ظل المتغيرات التي يشهدها عالم المسرح اليوم: فهل ما زالت قصص الحيوانات وعلاء الدين والصندوق السحري والمرآة السحرية هي المواضيع الجاذبة لطفل الألفية الثالثة؟ وهل تقنيات وأساليب الفرجة التي تقدمها هذه العروض متوازية بما يحيط عالم الطفل اليوم من مشاهدات تلعب فيها تقنيات العرض ووسائط الاتصال ووفرة المعلوماتية وأفلام السينما ذات التقنية العالية في إنتاج الفرجة والخيال العلمي؟ و كذلك هل يتواصل طفل اليوم مع أساليب أدائية وأغنيات مكملة للعرض المسرحي هي تقريباً لم تتقدم ولم تتطور منذ سنوات طويلة؟

إن الحاجة ملحة إلى ضرورة تطوير المسرحية الموجهة لجمهور الأطفال في الساحة العربية، وبتحميل مسرح الطفل مهمات كبيرة وعميقة تواكب ثقافة الطفل العربي التي تتعرض لتيارات فنية رخيصة تهدد رصانة هذه الثقافة، ولا بد من العمل على بلورة ثقافة رصينة تقدم في طبق فني وعبر قنوات الفرجة المدعمة بثقافة بصرية ونصوص أدبية تعمل على طرح موضوعات لها علاقة بتقويم السلوك ونبذ الشر وتعزيز جانب الخير.

ومن ثم سعت الدراسة الحالية إلى الإجابة على السؤال الآتي:

كيف يمكن تفعيل دور مسرح الأطفال فى تنشئة الطفل العربي وقدراته بما يتفق والخصوصية الثقافية العربية والاتجاهات العالمية المعاصرة؟

ويتفرع من هذا السؤال كل من الأسئلة الفرعية الآتية:

ما مفهوم مسرح الطفل؟ وما أبرز خصائصه؟

ما واقع مسرح الطفل العربي وأبرز سلبياته ؟

ما الاتجاهات العالمية المعاصرة فى تطوير مسرح الطفل؟

ما الرؤية المقترحة لتفعيل دور مسرح الطفل العربي على ضوء الخصوصية الثقافية والاتجاهات العالمية المعاصرة؟

أهمية الدراسة:

تأتى أهمية الدراسة الراهنة فى ضوء ما تعانيه الطفولة العربية من تردٍّ فى شتى المجالات، ومعاناة الطفل في كثير من البلدان العربية من تردي الأوضاع المعيشية والحياتية والثقافية، والمتمثلة فى ارتفاع نسب الأمية، والرسوب والتسرب، وتزايد أرقام عمالة الأطفال، وتجنيد الأطفال في الحروب، والفقر، والتهميش، مما يزيد من أهمية الآليات الثقافية المختلفة ومنها المسرح في التعامل مع مشكلات الطفل العربي، وقضاياه، وتنمية، إطلاق قدراته الإبداعية والفكرية.

أهداف الدراسة:

1- التعرف على مسرح الأطفال وأبرز خصائصه.

2- تحليل نشأة وتطور مسرح الأطفال عالمياً وعربياً.

3- تحديد أبرز المشكلات التى يعانيها مسرح الكفل العربي.

4- تحليل بعض الاتجاهات العالمية فى تطوير مسرح الطفل.

5- طرح رؤية لتفعيل دور مسرح الطفل العربي تراعي الخصوصية الثقافية والاتجاهات العالمية المعاصرة.

منهج الدراسة وإجراءاتها:

اعتمدت الدراسة على استخدام منهج البحث التاريخي في تحليل نشأة وتطور مسرح الطفل سواء عالمياً أو محلياً، واستخدام منهج البحث الوصفي في تحليل الأدب التربوي حول مفهوم وخصائص مسرح الطفل وتحليل واقع مسرح الطفل العربي، وأبرز مشكلاته، والاتجاهات المعاصرة في تطوير مسرح الطفل. وصولاً إلى طرح رؤية مقترحة لتفعيل دور مسرح الطفل العربي فى تنمية شخصية الطفل بما يتفق مع السياق والخصوصية الثقافية العربية، ويراعي الاتجاهات العالمية في تطوير مسرح الطفل.

مصطلحات الدراسة:

مسرح الطفل:

مسرح الطفل هو ذلك المسرح الذي يخدم الطفولة سواء أقام به الكبار أم الصغار مادام الهدف هو إمتاع الطفل والترفيه عنه وإثارة معارفه ووجدانه وحسه الحركي، أو يقصد به تشخيص الطفل لأدوار تمثيلية ولعبية ومواقف درامية للتواصل مع الكبار أو الصغار.

الإطار النظري للدراسة

أولاً- مفهوم مسرح الأطفال:

لغوياً يحدد قاموس «اكسفورد» تعريف مصطلح مسرح الطفل كما يلي: «هو عروض الممثلين المحترفين أو الهواة للصغار سواء على خشبة مسرح أو في قاعة معدة لذلك».

ويعرف معجم المصطلحات الدرامية مسرح الطفل بأنه «المكان المهيأ مسرحياً لتقديم عروض تمثيلية كتبت وأخرجت خصيصا لمشاهدين من الأطفال. وقد يكون اللاعبون كلهم من الأطفال. (حمدي الجبري، 2002، ص 8)

وهناك تعريف هام انتهى اليه الباحث «قاسم محمد(1983)» بعد دراسة طويلة «إن مسرح الطفل يمثل مسرحاً من أجل الطفل يقدم فيه راشدون محترفون أعمالاً مسرحية ينفعل بها الأطفال المتفرجون. وهذا المسرح يكتبه مؤلف متخصص ويخرجه كذلك ويمثله راشدون متخصصون»

ولأهمية مسرح الطفل دعت اليونسكو الى ضرورة الاهتمام به، وهناك العديد من البلدان تدعمه مادياً ومعنوياً باعتباره مكملاً لبناء الطفولة الصحيحة. ذلك لإيمان الجميع بأنه أحد الوسائط الفاعلة في تنمية الأطفال عقلياً وعاطفياً وجمالياً ولغوياً وثقافياً. وهو إحدى أدوات تشكيل ثقافة الطفل حيث يتلقى الطفل بلغة محببة القيم والأفكار بسهولة وييسر.

ومسرح الطفل هو ذلك المسرح الذي يخدم الطفولة سواء أقام به الكبار أم الصغار مادام الهدف هو إمتاع الطفل والترفيه عنه، وإثارة معارفه ووجدانه وحسه الحركي، أو يقصد به تشخيص الطفل لأدوار تمثيلية ولعبية ومواقف درامية للتواصل مع الكبار أو الصغار. وبهذا يكون مسرح الطفل مختلطاً بين الكبار والصغار. ويعني هذا أن الكبار يؤلفون ويخرجون للصغار ماداموا يمتلكون مهارات التنشيط والإخراج وتقنيات إدارة الخشبة، أما الصغار فيمثلون ويعبرون باللغة والحركة ويجسدون الشخصيات بطريقة مباشرة أو غير مباشرة اعتماداً على الأقنعة. ومن هنا، فمسرح الصغار هو مسرح للطفل مادام الكبار يقومون بعملية التأطير، وهو كذلك مسرح الطفل إذا كان مسرحاً يقوم به الطفل تمثيلاً وإخراجاً وتأليفاً. ومن هنا، فمسرح الطفل يعتمد تارة على التقليد والمحاكاة، وتارة أخرى يعتمد على الإبداع الفني والإنتاج الجمالي. (كنعان، 2011، ص 88)

ثانياً- نشأة وتطور مسرح الطفل:

ترجع نشأة مسرح الطفل إلى أصول فرعونية، فقد عُثر على بعض الدمى في مقابر بعض أطفال الفراعنة، كما تضمنت الرسوم المنقوشة على الآثار الفرعونية حكايات وتمثيليات حركية للأطفال الذين يشاهدون المسرحيات أو الاحتفاليات في المعابد أو مراكب النيل. ويبدو أن مسرح «الدمى» كان معروفاً في العالم القديم، كما فى مؤلفات «أرسطو» وهوارس. (أبو رية، 1982 ، 43)

ويبدو أن مسرح الدمى كان معروفاً في العالم القديم، وقد تحدث "أرسطو" في بعض مؤلفاته عن نوع من "الدمى التي تتحرك تلقائياً، كما أشار هوارس إلى "دمى خشبية» تتحرك بشد الخيوط.

وتميز الصينيون واشتهروا برقصاتهم بالسيوف، وباحتفالات الأعياد الدينية، وظهر عندهم أيضاً مسرح خيال الظل ومسرح العرائس، وظهر هذا الفن في الهند واليابان واليونان، وتميز في رومانيا بالتركيز على الاحتفالات الدينية، والرقص والغناء، وظهر هذا الفن في إنجلترا، وإيطاليا وألمانيا وروسيا.

ويفيد كتاب «بهارتا» في المسرح الهندي القديم أن المسؤولين والقائمين على شؤون المسرح يتلقون تكوينهم منذ نعومة الأظافر في هذا الميدان على أيدي آبائهم وأجدادهم. وقد لقن «بهاراتا» أسرار هذا الفن إلى أبنائه العشرين بأمر من «راهاما» نفسه.

وكان الشباب الإغريقيون في مدينة أثينا يتعلمون الرقص التعبيري ضمن البرنامج الدراسي. وقد أورد أفلاطون في «جمهوريته» ضرورة تلقين الجند فن المحاكاة، وذلك بتمثيل أدوار درامية تتعلق بالمروءة والفضيلة والشجاعة دون غيرها من الأدوار المشهدية تفادياً من تأثير محاكاة الرذيلة على طباع الجنود.

وفي فرنسا، اهتم كبار أعلام المسرح الكلاسيكي بالمسرح المدرسي، حتى إن رجال الكنيسة الذين أعلنوا رفضهم للمسرح وثاروا عليه وشنوا عليه حرباً شعواء وجدوا في ممارسة هذا الفن في الحقل التربوي فائدة ومتعة. وقد اهتم كبار أعلام المسرح الكلاسيكي الفرنسي بمسرح الطفل, كما كتب الناقد الفرتسي»بوسوي»في كتابه (خواطر وأفكار عن التمثيل) ليس من الجائز منع المسرحيات الموجهة إلى الأطفال وهي أسلوب لتحسين نشأتهم وتنظيم عملهم عام 1620، وقد كتب (راسين) تراجيديتين حول مواضيع دينية انجيلية وهما (استر) و(اتالي) خصصتا لأطفال معهد سانت سير، وخلال القرن الثامن عشر وتحديداً في عام 1874 قدمت (مدام استيفاني دي جينليس) عرضاً مسرحياً خاصاً بالأطفال في حديقة ضيعة دون شارتر بضواحي باريس، كما قدمت (دي جينليس) مسرحية (المسافر) التي قام بأدوارها أبناء الدوق في باريس, وكذلك مسرحية (عاقبة الفضول) التي تصور ما يجلبه الفضول على صاحبه. ويعد العرض المسرحي الذي قدمته مدام ستيفاني دي جبلينيس) عام 1784 م) في باريس أول عرض مسرحي قدم للأطفال، حتى إن بعض الباحثين يؤرخون بهذا العرض لبداية مسرح الطفل. (الصوري، 20 1997،)

وفي الفترة ذاتها، قدم المُربي (أرنود بركين) العروض المسرحية المخصصة للأطفال, وكلا المُربيين كانا يشرفان على مسرح الطفل ويستخدمان اللعب والتمثيل في مجال رعاية الأطفال والعناية بهم وتربيتهم وتعليمهم فيما نشرت المربية (دي جينليس) كتاباً خاصاً بمسرح الأطفال اسمه (مسرح للأشخاص الناشئين) عام 1779 وهو أول كتاب عن مسرح الأطفال في العالم, وفي اسبانيا قدم أول عرض مسرحي للأطفال حمل عنوان (خليج الاعراس) عام 1657 وقدم في حديقة الأمير فرناندو بن فيليب الرابع ملك اسبانيا والعرض من تاليف الكتب المسرحي(بدرو كالدرون دي لابركا) الذي كان مهتماً جداً بتقديم مسرحيات الأطفال.

وقد ترجم رونسار **Ronsard** مسرحية «بلوتوس“ **Plutus** لأريستوفان المسرحي اليوناني لكي يمثلها تلاميذ معهد كوكوري **Coqueret** سنة 1549م، كما تحدث مونتاني **Montaigne** في كتاباته عن ممارسته للمسرح عندما كان تلميذاً، واعتبر أن مثل هذه التمارين ممتازة جداً وهامة لتكوين الناشئة.

عليه، فقد استفاد مسرح الطفل من آراء التربية الحديثة التي تنص على حرية الطفل وخيريته كما عند جان جاك روســـو في كتابه «إميل» علاوة على أهمية اللعب والتمثيل ومعرفة الحياة عن طريق الحياة باعتبارها مرتكزات جوهرية في التربية الهادفة. ومن ثم، تشرب مسرح الطفل آراء روســـو وماريـــا مونتسوري وجون ديوي ودوكرولي وباكوليه وكلاباريد وبول فوشيه وبستولوزي **Pestalozzi** ومونتسوري **Montessori** وسوزان إسحاق... **S.Essac**

ويذهب الكاتب الأمريكي (مارك توين) إلى أن مسرح الأطفال هو مسرح حديث لم يظهر إلا في القرن العشرين, حيث ترجع البداية والنشأة الحقيقة لمسرح الطفل بشكله الحديث إلى القرن التاسع عشر، وترتبط بالأديب (هانزكرستيان أندرسن) (1805 – 1875) م الرائد الحقيقي لمسرح الطفل، وقد حازت أقاصيصه ومسرحياته شهرة واسعة، وترجمت إلى لغات عدة، ومنها

(الحورية الصغيرة – عقلة الإصبع- البطة الدميمة- ملابس الإمبراطور)، وأشهرها مسرحية (الحذاء الأحمر) التي تُرجمت إلى العربية. (أبو الخير، 1996، 25)

وقد أُنشئ أول مسرح للأطفال في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1903م، ففي عام 1903 أنشأت (ميني هينز) في الولايات المتحدة الأمريكية, مسرح الأطفال التعليمي، والذي قدم عدة عروض منها (الأمير والفقير / الأميرة الصغيرة / العاصمة) ، وفي روسيا ظهر مسرح الطفل عام 1918، وقدمت عروض عدة منها (ملابس الإمبراطور) وكانت أهداف مسرح الطفل في روسيا أيديولوجية بحتة.

ولم يتطور مسرح الأطفال عالمياً بشكل كبير إلا بعد الحرب العالمية الثانية، حتى أصبح جزءاً من الحركة المسرحية في العالم، وأنشئ مسرح الأطفال العالمي في أمريكا عام 1947.

وتجدر الإشارة إلى وجود أنواع متعددة من المسارح كانت تقدم للصغار والكبار، ومن هذه الأنواع " مسرح الدمى الذي انتشر انتشاراً واسعاً في البلدان العربية والأجنبية على السواء، إذ بلغ مسرح الدمى المتحركة أوجه في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين (مرعي، 1993)

وتأخر ظهور مسرح الأطفال في وطننا العربي، لصعوبة اختيار موضوعاته وقلة المجيدين فيه، وعدم العناية الكافية بثقافة الطفل عامة وآدابه، ولذلك ظلت نسبة المسرحيات المكتوبة للأطفال حتى الآن، تتراوح ما بين (1-2 %) مما يكتب وينشر من أدب الأطفال على مستوى الوطن العربي. وكان أول ظهور أول مسرح للأطفال بأشكاله المختلفة في البلاد العربية في مصر عام1964.

ثالثاً- خصائص مسرح الطفل:

ويتسم مسرح الطفل بعدد من السمات والخصائص التي تجعله مقبولاً لدى الأطفال وقادراً على التأثير بهم ويأتي أبرزها: سهولة الحبكة ومناسبتها لعمر الطفل، وضوح الشخصيات وأدوارها وسماتها الأخلاقية، أن تسير الأحداث على نحو طبيعي من دون إسراع أو تصنع، يجب أن تكون البداية مشوقة والانتقالات مناسبة والنهاية مفرحة ينتصر فيها الخير على الشر، الاهتمام بالحكايات المشوقة، سهولة الحوار وبساطته ووضوحه، أن يكون إيقاع الأحداث مناسباً، وغيره.

ويعتمد مسرح الطفل على الحركة بشكل أساسي، أكثر من الاعتماد على الحوار مهما تألق وتميز. لأن الحركة على الخشبة تثير فضول الطفل واهتمامه، وتحقق له المتعة، ويتقدم عرض الأحداث في مسرح الطفل على وصفها، أو الإخبار عنها، بوساطة الممثل أو الراوي، ولا يمكن إغفال ما للكوميديا من دور في نجاح العرض، شريطة أن تكون مجسدة، واضحة بلا لبس أو غمز أو لمز يستعصي على فهمه. (أحمد إسماعيل، 2012، ص 129)

كما يجب أن تكون اللغة في هذا المسرح تميل الى البساطة لكي لايتشتت ذهن الطفل عن العرض والتلقي في مسرح الطفل قائم على القصة التي تجسد من خلال الممثلين فوق خشبة المسرح ، حيث تكون» القصة قريبة جداً من الطفل ، ويجب أن تحمل أهداف متنوعة ومختلفة منها هذه الأهداف ،الهدف التربوي والتعليمي والتوجيهي الذي يكتسب منه الطفل بعض الحقائق والمعلومات المفيدة ،كما يتم من خلال هذه القصة الممثلة غرس التعاليم والمفاهيم الصحية في نفوس الأطفال». (مفتاح محمد دياب، 1995، ص 142)

إن مسرحية الأطفال يمكن لها إن تهدف إلى تحقيق أكثر من هدف في آن واحد، ولكنها تتركز على هدف معين بشكل يفوق تركيزها على بقية الأهداف، فيسمى هدفها الأول مركزياً وتصبح الأخرى أهدافاً ثانوية، وفي كلتا الحالتين يظل الهدف الرئيسي متكاملاً والأهداف الأخرى مترابطة لكى لا تكون المسرحية مشوشة» فتجعل الطفل يذهب تركيزه إلى أشياء أخرى، ويكون التلقي

عند الأطفال غير مجد. وإن طبيعة هذا المسرح تحكم على العاملين في هذا المسرح أن يستخدموا لغة سهلة وغير معقدة لكي تصل إلى ذهن الطفل بصورة واضحة واستخدام فكرة بسيطة تتسم بالتشويق والإبهار، وإن الممثل هنا يجب أن يستعين بالحركات والإيماءات البسيطة، والتي يعرفها الطفل مع إضفاء طابع البهجة والمرح والحركات الكوميدية التي تجعل الطفل ينشد إليها مع أن لاتكون هذه الحركات حركات خطرة فطبيعة الطفل يقلد كل مايعجبه، ويجب أن تكون تلك المسرحيات تتضمن المغزى التربوي. ومن ناحية بنية الحبكة يجب أن تكون بسيطة ولا يكون فيها تعقيد، ويكون السبب والنتيجة مباشران وأن تكون الحزورة سهلة وواضحة.

رابعاً- أهمية مسرح الطفل:

يعد مسرح الطفل من أهم الوسائل التربوية التي تساعد على بناء شخصية الصغار في مرحلة مبكرة، بالاضافة إلى دوره في الارتقاء بالذوق الفني والجمالي لديه. ويوفر هذا المسرح من خلال ما يقدمه للطفل من دراما ثرية بالمعلومات التي تقدم له في قالب درامي. وهناك الكثير من المسرحيات تضع على عاتقها مسؤولية تقديم صور حية من الواقع لهذا المتلقي الصغير، كما تسعى إلى تأصيل الثقافة والفن في نفسه، وتضعه وجها لوجه مع بعض المفاهيم، والبنى الأساسية التي تلم بكل جوانب الحياة، كما أنها تنمي لديه الحس النقدي منذ الصغر. وتسهم تلك الأعمال المقدمة في تنشيط ذاكرة الطفل، عن طريق جعله يتفاعل مع العرض المسرحي المقدم، فنراه يناقش القضايا المطروحة أمامه والتي في الأغلب تكون مستوحاة من واقعه الاجتماعي. (زينب عبد المنعم، 2007، ص 15)

ولقد تفطن علماء النفس في دراساتهم إلى أن للمسرح أثراً في تطهير النفس، لأن التمثيل المسرحي يقوم بمعالجة كثير من الأمراض السيكولوجية التي يعاني منها الطفل، وهو يعمل على تفريغ كافة انفعالاته وشحناته النفسية. إلى جانب ذلك يكتسب الطفل الخجول الثقة بالنفس ويتخلى عن انطوائيته وأنانيته في بوتقة التعاون الجماعي. كما أنه يبتعد عن ميوله الإجرامية، لأن السماح للأطفال الذين يعانون من اضطرابات بتمثيل مواقف مجسدة لها يمهد الفرصة لكسب الثقة بالنفس. فحينما يشخص التلميذ دورا فإنه في الحقيقة، ينفس عن الحالة التي يعاني منها عندئذ ستزول سيطرتها عليه وعلى نفسيته. إلى جانب هذا نجد أن المسرح عند الطفل يسمح لنا باكتشاف قدراته، ومواهبه وميوله، ويعطيه مجالاً واسعاً للتعبير عن ذاته، كما أن تقمصه لأدوار عديدة ومختلفة يمكّنه من اكتساب خبرات متنوعة اجتماعياً.

أهداف مسرح الطفل:

يعد مسرح الطفل ركناً أساسياً في التربية الحديثة، فهو ينمي المفاهيم العلمية والتربوية والأخلاقية والاجتماعية للطفل، ويحفز المواهب الفنية والقيم الجمالية لدى الأطفال، وهو وسيلة للتعلم بطريقة غير مباشرة، ونشطاً تربوياً مكملاً للكتاب والأنشطة الأخرى في المدرسة، ويقوم مسرح الطفل بمهمة تثقيفية جليلة، وربما كان أكثر قدرة على التوصيل من الكتاب المقروء، لأن الأطفال ينجذبون بطبيعتهم للمسرح بوصف المسرحية نوعاً من اللعب التخيلي. (أبو رية، 26،1986)

كما يحقق مسرح الطفل الاتزان الوجداني وتنشيط الجوانب العقلية والمعرفية إلى جانب دمج الطفل في ثقافة مجتمعه والارتباط بها. ويدرب المسرح الأطفال على الحياة حيث يحقق تدريباً إيجابياً مفعماً بالعظة والأحكام الأخلاقية. وله أثر هام في استثارة خيال الطفل وتنمية مواهبه وقدراته الإبداعية، فالفنون المتعددة التي يقدمها المسرح توقظ لدى الطفل الإحساس بالمبادئ الفنية الأولية، وتسهم في تنمية وتنشيط عمليات الخلق والإبداع الفني.

كما يسهم المسرح في بناء شخصية الطفل فكرياً وأخلاقياً، وتكوين اتجاهات الطفل، وميوله، وقيمه، ونمط شخصيته. وتدريب الطفل على النطق السليم الواضح والأداء المعبر والإلقاء الحسن، بما يثري حصيلة الطفل اللغوية، ويزيد تعلقه باللغة العربية الفصحى.

ويعلم المسرح الطفل دروساً في التعاون والصبر والمواظبة، وإنكار الذات والاعتماد على النفس، ويساعد في التغلب على الخجل، وتوثيق الصلة بين المدرسة والبيئة، ويقدم حلولاً للكثير من المشكلات الاجتماعية القائمة والانحرافات السلوكية، وينمي عاطفة حب الجمال والخير، ويمد الطفل بالمعارف والمهارات والخبرات، بتوضيحها وتثبيتها عن طريق الحركة والحوار.

ويؤدي المسرح المدرسي دوراً هاماً وفعالاً في بناء المجتمع وتطوير فكره ودعم الرؤى الوطنية التي تعالج القضايا المختلفة من خلال عرض نماذج حية من الحياة اليومية الواقعية للفرد، وتُجسد من خلال خشبة المسرح القيم الوطنية والسلوكية والتربوية التي يسعى المجتمع إلى ترسيخها والمحافظة عليها.

ويمكن القول إن أهداف مسرح الطفل تشمل:

1 - الهدف الترفيهي:

إن العروض المقدمة للطفل تتسم أغلبها بطابع من الترفيه والتسلية والمرح، وذلك لأن الطفل ميال إلى الحركة والمرح، وإن العرض المسرحي الذي يشاهده بالنسبة إليه هو متعة كبيرة من حيث الأداء والموسيقا والغناء والرقص (محمد حسن محمد، 20019، 21). فإن كل ما يدور في هذا المكان هو للتسلية والمرح، وعليه يجب ان يكون العاملون في هذا المسرح أن يتعاملوا مع هذا الكائن الحساس بأسلوب يتسم بالمرح واللعب وعدم إصدار الأوامر أثناء العرض، وذلك لأن الطفل لا يحب الأوامر.

2 - الهدف التربوي

يمثل المسرح أهم الوسائل المعتمدة لإيصال التجارب والخبرات إلى الآخرين، وإن مسرح الطفل يمتلك هذه السمة التي تساعد الطفل على فهم وإدراك العديد من القيم والمبادئ التي تعجز المدرسة والبيت إيصالها للطفل، وهذا النوع من النشاط يساعد المدرسة في تكوين شخصية الطفل، وكيفية التعامل مع الآخرين ولغرس في نفوسهم حب الوطن والتعاليم الأخلاقية والدينية.

3 - الهدف التعليمي

يشارك المسرح ضمن أهدافه في الجانب العلمي مشاركة كبيرة في تنشيط ذهن الطفل من خلال التجارب العلمية التي تكون على شكل عروض مسرحية فمن خلال تلك العروض يتم تعليم الطفل أصول اللغة وكيفية خروج الحروف أو كيفية التعامل مع الأشياء الضارة التي تحيط الطفل, أو كيف يتعامل مع الأشياء التي تكون تحت تصرفه، أو من خلال مسرحة المناهج العلمية لأن من خلالها يتم تحفيز الطفل أو من خلاله يتم «الكشف عن قدرات التلاميذ وتطويرها، وتنمية العمل الجماعي التعاوني، وتنمية اتجاهات اجتماعية مرغوب فيها،والتوعية القومية بالبيئة والحياة». (هادي نعمان الهيتي، 1986، ص 302)

4 - الهدف الجمالي:

من أهم القيم التي يؤكد مسرح الطفل عيها هي غرس القيم الجمالية داخل نفوس الأطفال، وتنمية ذائقتهم الجمالية من خلال ما يحمله العرض من مجموعة من الفنون التشكيلة والأدبية والموسيقية، ويمكن إشراك الطفل في إحدى متطلبات العرض كأن يكون أحد الممثلين أو العازفين أو من يعملون في الديكورات، وهذه تربي الطفل تربية جمالية، وتجعله يبني شخصيته الفنية بصورة سليمة.

خامساً- أنواع مسرح الطفل:

أ - مسرح الطفل الشعري:

إن كتابة مسرحيات شعرية للأطفال تعد من أكثر ألوان الكتابة الإبداعية صعوبة لما تتطلبه من عناصر درامية وفنية؛ فالشاعر مطالب بكتابة مضمون هادف في إطار إيقاعي حواري مكثف بعيداً عن الغنائية أو الإطالة، ولعل صعوبة الكتابة وفق هذه المعايير الفنية هي التي صرفت كثيراً من الشعراء عن خوض هذا المضمار، حتى إن شوقي الذي أسس المسرحية الشعرية في الأدب العربي لم يكتب مسرحاً شعرياً للأطفال بالرغم من دعوته للاهتمام بأدب الأطفال وإسهامه بما كتبه من شعر لهم. وبقدر هذه الصعوبة، فإن مسرح الطفل الشعري يتسنَّم الذروة قياساً بفنون الأطفال الأخرى، وذلك لما يتضمنه من عناصر الجذب والتشويق لاسيما البناء الإيقاعي أو الموسيقي.

ويعد الشاعر محمد الهراوي (1885-1939) رائد هذا اللون من أدب الأطفال فقد كتب خمس مسرحيات منها مسرحيتان شعريتان هما :الذئب والغنم، والمواساة، وقد كتبهما في إطار الشعر التقليدي، ولم يعمد فيهما إلى الإطالة، وأجرى إحداهما على لسان الحيوانات، ولكن لم تتوافر لهما عناصر الدراما الجيدة، وإن كان ذلك لا ينفي أن هذه المحاولات تميزت بفضل الريادة والسبق، وكانت إرهاصاً بمولد هذا الفن ونموه.

وقد تحول مسار المسرح الشعري للأطفال في مصر في بضعة عقود إلى المسرح المدرسي، وصار مرتبطاً بغايات تربوية أو تعليمية خالصة، وافتقد البناء الدرامي والحبكة الجيدة، وظلَّ الأمر كذلك حتى فترة الثمانينيات، حين قُيض لهذا اللون مجموعة من الشعراء الذين أدركوا أهمية هذا الفن الشعري، وأخلصوا له، أمثال أحمد سويلم، وأنس داود، وأحمد الحوتي، وأحمد زرزور، ومحجوب موسى، وأحمد شلبي، ومصطفى عكرمة، وغيرهم

ب -مسرح الطفل النثري:

يعد عبد التواب يوسف أبرز كتاب المسرحية النثرية للأطفال، وقد خاض تجربة كتابة دراما الطفل منذ الستينيات، وهي الحقبة الذهبية التي شهدت ازدهاراً واضحاً في مسيرة المسرح في مصر، وتعد مسرحية "عم نعناع" أول مسرحية كتبها عبد التواب يوسف للأطفال، وذلك في عام 1964 م، وقدمت كعرض مسرحي في العام ذاته. (أبو الخير، 1996، 7)

ومن أبرز مسرحيات عبد التواب يوسف للأطفال مسرحياته (الجحوية) المستمدة من حكايات جحا، ومن هذه المسرحيات جحا وأمطار النقود جحا وشجرة الأرانب ، وجحا يطعم ثيابه جحا والحذاء الهارب.

ج - مسرح العرائس:

تتجسد الحياة في مسرح العرائس في الدمى، فتتحرك، وتتكلم، وتفكر، وحياتها تلك تبدو للناظرين شيئاً باهراً يجعلهم كباراً وصغاراً يتعاطفون معها، ويقبلون عليها، ويفتحون لها قلوبهم وعقولهم.

إن القصة التي تقدمها تلك العرائس، مع ما يرافقها من حركات مثيرة ومؤثرات صوتية وموسيقية وأجواء موحية، تشكل عاملاً فعالاً في تثبيت المعارف والخبرات واكتساب المهارات، وترسيخ القيم والعادات والأخلاق وتعميق المشاعر القومية والوطنية والإنسانية.

وترجع نشأة العرائس إلى أزمان بعيدة، قد تصل إلى فجر التاريخ، وهناك روايات تؤكد أن الحضارات القديمة جميعها قد عرفتها ولاسيما في مصر القديمة، فكانت تظهر في المواكب

الاحتفالية، وتشكل جزءاً من الطقوس الدينية، ففي الفلكلور الهندي أخبار عن عرائس عجيبة احتلت مكانة في التراث الأدبي والديني، وفي الصين أثارت العرائس اهتمام الكتاب والفنانين، فكتب عنها الأدباء أكثر من ألف مسرحية، وتفرغ لها الفنانون، وفي اليونان ألف الشعراء والفلاسفة بها الروايات، وعني الرياضيون والمهندسون بتصميم أجزائها وثيابها، وأظهروا في ذلك براعة فائقة.

وفي القرن التاسع عشر لاقى مسرح العرائس نجاحاً كبيراً، وأخذت الدمى تؤدي دوراً هاماً في حياة الشعوب، وتعبر عن تراثها ووجدانها من خلال تجسيدها لشخصيات تمثل رموزاً ومعاني وقيماً سامية، فعاشت حية في ضمير الكثيرين، ومن تلك الشخصيات: شخصية (جوجينول) في فرنسا. وتنوعت أنواع الدمى ما بين دمى محمولة (كالدمى القفازية، والدمى القائمة، وشخصيات خيال الظل)، ودمى الخيوط (الماريونيت).

كما يقسم البعض مسرح الطفل إلى:

أ- المسرح التلقائي أو الفطري:

هو مسرح يخلق مع الطفل بالغريزة الفطرية، يستند فيه إلى الارتجال والتمثيل اللعبي والتعبير الحر التلقائي (مثل لعبة العريس والعروسة).

ب- المسرح التعليمي:

هو ذلك المسرح الذي ينجزه التلميذ تحت إشراف المربي أو المنشط أو المدرس أو الأستاذ وبوجود نصوص معدة سلفاً ضمن المقررات الدراسية. ويمكن تفريعه أيضاً إلى:

1 - مسرح التعليم الأولي:

ويرتبط بالكتاتيب القرآنية والتربوية وأرواض الأطفال حيث يمثل التلاميذ مجموعة من الأدوار المسرحية التي يقترحها المربون عليهم.

2 - المسرح المدرسي :

هو ذلك المسرح الذي يستخدم التمثيل داخل المؤسسة التربوية (المدرسة الابتدائية والإعدادية والثانوية) بمثابة تقنية بيداغوجية لتحقيق الأهداف المسطرة سواء أكانت أهدافاً عامة أم خاصة وتستهدف الجوانب الفكرية والوجدانية والحسية الحركية. ويشرف على هذا المسرح المدرس وذلك بتنشيط التمثيل الذي يقوم به التلاميذ داخل القسم أو أثناء المناسبات الرسمية (الأعياد الدينية والوطنية) وغير الرسمية (فترة نهاية السنة الدراسية لتوزيع الجوائز وإعلان النتائج.

ويستند المسرح المدرسي إلى الإفادة من علوم التربية وعلم النفس وعلم الاجتماع والبيولوجيا؛ والنظر لكون المسرح وسيلة إصلاحية/ تطهيرية ووسيلة علاجية ووسيلة جمالية إبداعية ووسيلة تلقين ونقل المعرفة والمهارة.

ويهدف المسرح المدرسي إلى إشباع حاجات الطفل الفكرية والنفسية والاجتماعية والعضوية لخلق التوازن لدى الطفل للتكيف مع الذات والموضوع وتحقيق النمو البيولوجي.

كما تنقسم أشكال مسرح الطفل:

أ- الصورة التقليدية وهو مسرح الكبار للصغار ليعبر عن إيمان الكبار بمسؤوليتهم تجاه أطفالهم في حمل الحقيقة الفكرية والفنية متغلغلين في وجدانه.

ب- مسرح الصغار للصغار وهذا أكثر تأثيراً إذ تكون الفاعلية مزدوجة لدى العاملين على

الخشبة والجالسين في الصالة على حد سواء ويصبح الطفل المشاهد مندمجاً بكليته متمثلاً – متماهياً- مع أقرانه الممثلين .

ج- وقد يأتي مسرح الطفل بصورة المسرح المدرسي، وهنا يمكن القول إنه بالإضافة إلى أن المرسل والمتلقي فيه هو الطفل فلابد أن المظهر بصورة تعليمية بالدرجة الأولى مرتبطاً بحياة الطفل (الطالب) سواء من الناحية الشخصية أو الاجتماعية أو المدرسية أو فيما يتعلق بالمناهج عموماً.

سادساً- الاتجاهات العالمية المعاصرة في تطوير مسرح الطفل:

تتضمن الاتجاهات العالمية لتطوير مسرح الطفل كل من:

1 - توجه مسرح الطفل نحو التعامل مع قضايا الطفل ومشكلات المجتمع والتعبير عنها:

مما لايدع مجالاً للشك، أن مسرح الطفل يعد من أعظم الابتكارت في القرن العشرين كما قال «مارك توين»، ولقد اتضحت قدرته على استيعاب قضايا الأطفال في العالم، مما يؤكد دوره التربوي الرائد. وهذا يضعه في مرتبة الأستاذ الملقن للأخلاقيات والمثل العليا، بل إنه معلم اهتدت إليه عبقرية الإنسان لأن دروسه لا تنتقل عبر الكتب المدرسية بل بالحركة التي تبعث الحماس وتصقل المواهب، وتنفذ إلى قلوب الصغار دون سابق إنذار.

لذا لم يكن غريباً أن نرى هذا المسرح قادراً على استيعاب قضايا العنف ضد الأطفال، والتي زادت نسبتها مؤخراً، نتيجة زيادة التفكك الأسري، وأحياناً بسبب الفقر وقلة المادة لدى الأسرة، مما يجعل الطفل هو الضحية الأولى. كما أن عدم الاستقرار السياسي – نموذج العراق حالياً- يجعل الأطفال معرضين للعنف والاختطاف والتحرش الجنسي والتهجير والعمل في مهن شاقة ووضيعة قد تعرضهم للخطر مثل الترويج للمخدرات والتسول والسرقة. ومن منطلق ذلك فان مسرح الطفل هو المرآة العاكسة لقضايا الأطفال وهمومهم الاجتماعية والاقتصادية والأسرية. وهو وسيلة مثلى لتشكيل الثقافة المسرحية لديهم مما يجعلهم قادرين على مناقشة قضاياه وحقوقهم.

2 - تركيز مسرح الطفل على تنمية قدرات الطفل الشخصية والإبداعية:

من المسلم به، أن طفل اليوم، يمتلك مقدرة ذكائية تفوق الاجيال السابقة، وذلك نتيجة الطفرات العلمية الهائلة في كافة المجالات، لذا عند تقديم عرض مسرحي، لابد من السعي حثيثاً للتعامل معه بشكل عميق وجاد، لكون الطفل هذا الجيل يمتلك مقدرة عالية في تفسير ما يراه فلابد من استثارة ذهنه على التفكير والاكتشاف والاستنتاج والابتعاد قدر الامكان عن القصص الخيالية التي قد لا تفيده في حياته مستقبلاً. كما يتيح مسرح الطفل للناشئة فرصة للتفكر والابداع والبحث عن الحلول إلى جانب الممثل والحدث تلك هي الحالة الناضجة في العمل المسرحي. كما يفترض تقديم نص لا يجيب على كل الأسئلة بل يتضمن عدداً من التحديات بعيداً عن الحلول الجاهزة. وهذا بدوره يعطي العرض النصف ويبحث الطفل عن النصف الآخر، كي يفعل ذهنه وخياله. وبذلك يكون مسرح الطفل يصل بالمتفرج الصغير الى ما بعد الفرجة المسرحية، كي يبقى تأثيره ملازماً له إلى ما بعد انقطاع الفرجه البصرية والحركية والموسيقية، يأخذه معه إلى الشارع والمدرسة، وهو لا أن ينتهي بمجرد انتهاء العمل وهذا بالضبط ما يوجد جمهوراً مسرحياً حقيقياً وليس متلقياً سلبياً. (نادر القنة، 2008، ص238)

3 - تكاتف كافة الجهات فى تقديم مسرح الطفل:

يعتمد دور مسرح الطفل على تعاون كافة أفراد المجتمع والتكاتف مع أولياء الأمور والمدرسين

والأطباء وأجهزة الشرطة والقضاء والاخصائيين الاجتماعيين والنفسيين وكافة العاملين في مجال تنشئة الطفل، لضمان الحفاظ على حقوق الأطفال وحمايتهم من أشكال العنف التي قد يتعرضون لها. وذلك من خلال تقديم عروض مسرحية جادة تعلمهم كيفية التعامل مع الآخر وحثهم على الابلاغ في حالة تعرضهم للإساءة أو العنف من قبل الآخرين.

4 - تطورأسلوب وطريقة التمثيل والإخراج واستخدام التقنيات الحديثة:

لمسرح الطفل، ومسرح عرائس الجوانتي، والماريونت، مع تدريب الأطفال على التمثيل والمشاركة في عملية الإخراج والتنفيذ الفني، مثل تصميم وتنفيذ مكونات عروض الأطفال، من خلال توظيف الأقنعة بأنواعها، والموسيقي، والتلحين، والأغاني، والرقص والإضاءات العامة والخاصة، وذلك كي تتحقق الأهداف التربوية والتعليمية والاجتماعية والعلاج النفسي، مركزاً على العوامل الإنسانية التي تساعد على تأصيل وتحديث دراما الطفل من خلال توظيف التاريخ والتراث والحكايات الشعبية والأساطير وحكايات الخيال العلمي. (مديحة بعد الكريم عمر، 2011، ص 45)

5 - اتباع مسرح الطفل لدراسات ونظريات علم النفس :

لقد بدأ المسرحيون المختصون بالطفل يتبنون تلك الدراسات مسترشدين بنتائجها في وضع الصيغة النهائية للعرض المدرسي وتعاملوا مع خصائص كل مرحلة عمرية من حياة الطفل بشكل منفصل لإشباع حاجته وسهولة الوصول إليه ولتوفير عملية تربوية تراكمية:

1 - **الطفل من 6-8 سنوات :** وهو طفل ذو خيال جامح ومتعطش لمعرفة الأشياء الجديدة ويرغب في قصص الخرافات والخيال والغرائب والأشباح والأساطير ...إلخ. وهنا على المسرحي أن يستغل هذا التوجه بالبحث عن القيم الاجتماعية النبيلة التي تقدم للطفل من خلالها ليسهل تقبله لها، وحتى لو خرجت الموضوعات التي تقدم للطفل عن إطار الغرائب والمعقوليات، وتم تناول موضوعات تأريخية أو دينية أو مدرسية فإنه من المفيد أثناء صياغة النص والعرض مزجها بجو الخيال والغرائب مع الاحتفاظ بالأسلوب الواضح والفكرة البسيطة واللغة المباشرة والبعد عن التعقيد.

2 - **الطفل من 9-12 سنة :** والطفل فى هذه المرحلة العمرية تبهره المغامرات التي تظهر مواقف البطولة والشجاعة كما أنه يسعى في هذه المرحلة لمعرفة الأسرار العلمية التي تكمن خلف بعض الظواهر الغريبة، ويحب القصص التي ينبري فيها البطل للدفاع عن قيم دينية وأخلاقية ووطنية، ويجد الطفل فيها اندماجاً وتفاعلاً كلياً وسريعاً يسهل وصول القيم المقصودة إلى عقله وإدراكه . ويمكن هنا للمشتغل في المسرح أن يسترشد بمراحل نمو الطفل من 6-12 سنة لتحقيق الكثير من غايات وأهداف التعليم خصوصاً تحقيق المهارات الأساسية وتشجيع وتنمية النشاط الابتكاري ومهارات التفكير المتنوعة.

3 - **الطفل من 12-17 سنة :** وهو هنا يسعى وراء القصص المثالية الممزوجة بفيض من العاطفة والتضحية مثل القصص العاطفية وحكايات التضحية والتعرف على شخصيات تاريخية يسمع عنها من هنا أو هناك وكذلك يتعلق بالمغامرات بشكل أو بآخر .

- وعلى العموم فإن من يشتغل بالمسرح المدرسي يجب أن يعي أهمية الإلمام بهذه المراحل عند اختيار النصوص والأعمال المسرحية لكل مرحلة وفق مايخصها ويتناسب مع طبيعتها حتى يحقق الأهداف التي يسعى لها من تنفيذ هذه الأنشطة.

سابعاً- واقع مسرح الطفل العربي وأبرز مشكلاته:

ترجع البدايات الأولى لظهور مسرح الطفل العربي إلى (تمثيليات خيال الظل) التي جاءت من الصين مع المغول الذين احتلوا العراق، ثم ظهر هذا الفن على يد (الحكيم شمس الدين بن محمد بن دانيال بن الخزاعي الموصلي) واستوطن في القاهرة وانتقل إلى تركيا عام 1517 م على يد السلطان سليم الأول، ثم منها انتشر في أوربا. (أحمد فؤاد عبد الكريم، 2005، ص1)

ولقد كان ظهور (فن الأراجوز) في مصر-فيما بعد-إيذاناً باضمحلال (تمثيليات خيال الظل) ولعل فن الأراجوز كان محاولة لتقديم مسرح يخص الطفل بإمكانات متواضعة.

وقد اختلف الباحثون حول معنى كلمة «أراجوز». فهناك رأي يُرجعها إلى اللغة الفرعونية «أورو جوز» أي راوي الحكايات، وآخر ينسبها إلى «القرة قوز» باللغة التركية، التي تعني العين السوداء، وآخرون يقولون إنها تحريف لقراقوش نسبة إلى بهاء الدين قراقوش أحد حكام مصر في العهد العثماني، وأيضاً مسرحيات خيال الظل الذي عرفته مصر في عصر الفاطميين، حتى يقال إن صلاح الدين الأيوبي حضر عرضاً لخيال الظل مع وزيره القاضي الفاضل عام 567هـ. اشتهر في هذه اللعبة ابن دنيال الموصلي والشيخ مسعود... وهذا الفن هو عبارة عن دمى ملونة ورقية أو جلدية، تقوم بتمثيل مسرحية تصاحبها موسيقا. ويستعمل ممثلو خيال الظل عِصِيّ خشبية في تحريك الدمى من وراء الستار، ومن خلال عكس الضوء على الستار شبه الشفاف. ويفترض بالممثلين أن يتمتعوا بمواهب عديدة، بحيث يمكنهم الغناء وتقليد الأصوات.

وقد اندثر فن الأراجوز، ويرجع السبب في ذلك إلى عدم النهوض بذلك الفن، وتطويره ورعايته فقد كان القائمون عليه فنانين فقراء الحال والثقافة والهدف والإمكانيات الفنية والمادية، وتلا ذلك ظهور (المسرح الشعري الغنائي)، وفي مطلع القرن العشرين حدث التحول في مسرح الطفل، حيث بدأ عرض مسرحيات الأطفال عام 1964 م، ولقد غاب مسرح الطفل-وقتها-غياب التخطيط، وعدم الثبات، والاعتماد على المصادفات في العمل الفني.

وكان ظهور أول مسرح للأطفال بشكله المعاصر المعاصرة في البلاد العربية في المغرب عام 1860، بعد ان احتل الأسبان مدينة تطوان فتم تقديم مسرحية للأطفال بعنوان (الطفل المغربي) وذلك على خشبة مسرح إيزابيل الثانية في تطوان وهي أول خشبة مسرح في العالم العربي، أما في مصر فقد أنشئت فرقة القهرة للعرائس عام ،1959 وقدمت أول عروضها للعرائس. (هبة مازن، 2015).

وتأسس أول مسرح للأطفال عام 1964 في الإسكندرية، حيث يعد عبد التواب يوسف أبرز كتاب المسرحية النثرية للأطفال منذ الستينيات، ومثلت مسرحية «عم نعناع « أول مسرحية كتبها للأطفال في عام 1964 م، وقدمت كعرض مسرحي في العام ذاته. (أبو الخير، 1996، 7) كما برزت جهود الشاعر المصري الكبير سيد حجاب والذي بدأ رحلته الأولى في مجلات الأطفال، وتعاون مع كل من صلاح جاهين والموسيقار عمار الشريعى فى تقديم المسرح الغنائى وأغانى الأطفال، وكانت تجربته غير متكررة فى الغناء المصري، وانتقل هذا الفن إلى سوريا ولبنان والعراق والكويت والمغرب العربي والأردن.

وفي سوريا، تأسس مسرح العرائس عام 1960 وكان يقدم عروضه ضمن نطاق المسرح المدرسي، وفي لبنان، تم تقديم أبرز عروض مسرح الطفل العربية وهو (يعيش المهرج) عام 1981، أما في الأردن فقد بدأ مسرح الطفل من خلال تجربة الفنانة (مارجو ملاتجليان) التي تعد رائدة مسرح الطفل الذي بدات به عام 1970 بمسرحية (عنبرة والساحرة)، وفي لبنان بدأ مسرح الطفل عام 1968 من خلال تقديم مسرحية (حمدان)، فيما ظهر في الكويت أول نشاط لمسرح الطفل من خلال فرق المدارس التي استخدمت المسرح كأداة تعليمية وتثقيفية وتوجيهية للأطفال.

وتعد تجربة مسرح الطفل في لبنان واحدة من التجارب الرائدة عربياً، لأنها شهدت حراكاً مبكراً ومتميزاً، خصوصاً خلال السبعينيات. ففي مجال مسرح الدمى، كان جوزيف فاخوري من أوائل الذين اشتغلوا على مسرح الدمى بدءاً من الستينيات. كما كان فنان المسرح الكوميدي حسن علاء الدين (شوشو) من أوائل المواظبين على تقديم عروض للأطفال. وقد امتازت عروضه بشعبيتها، وذلك بعد أن نال شهرة كبيرة بين الأطفال بتقديمه لشخصية المهرج في أحد البرامج التفزيونية على التلفزيون اللبناني بالأبيض والأسود. بعد ذلك، جاءت الفترة الذهبية التي شهدت تطوراً ملحوظاً، فازدهرت بوجود أسماء كثيرة أعطت للتجربة اللبنانية بمسرح الطفل صفة الريادة مثل شكيب خوري، موريس معلوف، غازي قهوجي، بول مطر، وفرق مسرحية كـ"فرقة السنابل" مع غازي مكداشي وأحمد قعبور.

وقد استخدم مسرح الطفل تربوياً وتعليمياً على المستوى العربى، فى مختلف الظروف، فقد بدأ المخرج والمسرح الفلسطينى عبد الفتاح أبو سرور تجربته فى مخيم عايدة بفلسطين المحتلة، وأسس مع مجموعة من أصدقائه مركز الرواد للثقافة والمسرح للأطفال تحت ويلات الاحتلال الإسرائيلى، واستطاع تكوين فرقته المسرحية من أطفال المخيم، وقدّمت للعالم عروضها، وقدَّمت صورة أخرى غير الصورة النمطية للطفل الفلسطينى كإرهابى يقذف الحجارة مستخدمة في ذلك عروضاً مسرحية ورقصاً تراثياً وأفلاماً أنتجها أطفال المخيم تفضح قسوة الاحتلال تطبيقاً لمفهوم المقاومة بالفن. (هانى درويش، 2008، 208)

ويعد الدكتور ناجى شاكر، أحد رواد فن مسارح الطفل فى مصر، والذي قام بتصميم عرائس أوبريت الليلة الكبيرة، وأشرف على ديكور شفيقة ومتولى، وله العديد من الأعمال الفنية المسرحية منها الزير سالم، شغل أراجوزات الكل فى واحد، كما أنشأ شعبة الفنون التعبيرية بكلية الفنون الجميلة التى تتضمن تصميم الديكور والأزياء في السينما والمسرح والتليفزيون، كما حصل على جائزة تصميم مهرجان المسرح الدولى برومانيا.

وقد انتشرت المهرجانات التي تُروج لمفهوم المسرح لدى الطفل باتت كثيرة، ومنها على سبيل المثال مهرجان الأردن لمسرح الطفل العربي، ومهرجان الإمارات لمسرح الطفل، ومهرجان أصيلة بالمغرب، وهناك أيضاً المهرجان الدولي لمسرح الطفل الذي يُعقد بالغردقة في مصر بالتعاون مع مؤسسة «مانيتون» لمسرح الطفل. وأيضاً لا يفوتنا أن نذكر المهرجان العربي لمسرح الطفل الأول برعاية المجلس الوطني الكويتي للآداب والفنون في مارس، العام الماضي، الذي قدَّم تجارب مسرحية عديدة من بلدان عربية مختلفة نذكر أبرزها مسرحية «مريوم والسنافر» من دولة الإمارات العربية المتحدة، ومسرحية «التعاون» من سلطنة عُمان، ومسرحية «أشعل شمعة» من مملكة البحرين، ومسرحية «همام في رحلة بلاد الشام» من المملكة العربية السعودية، بالإضافة إلى ثلاثة عروض من الكويت، ومشاركات أخرى من بعض الدول العربية.

ولكن، على الرغم من كل تلك المهرجانات في الوطن العربي ما زال مسرح الطفل يحتاج إلى وقفة حاسمة للترويج له وتوفير كافة الإمكانات المادية والتقنية والفنية والإبداعية حتى يظهر بما يليق وعقلية الطفل الذي يتربَّى اليوم على الكمبيوتر، ووسائل التواصل الاجتماعي التي يزخر بها المجتمع.

وقد ساء حال مسرح الطفل بالبلاد العربية كثيراً في السنوات الأخيرة، وهجره معظم المشتغلين. ويُفسَّر نزوح هؤلاء بعدم توافر الشروط الموضوعية التي تسمح بالعمل، فغالباً ما تكون أجورهم مجحفة، وكأن المسارح الرسمية الحكومية العربية تضمر نظرة دونية لمسرح الطفل وللعاملين فيه. إضافة إلى ذلك، تحضر قضية الشهرة، التي لا يوفرها مسرح الطفل للعاملين فيه. ومع غزو عروض المسارح التجارية التي تستسهل عقل الطفل، والتي يعنيها بالدرجة الأولى كسب المال، صارت تُقدَّم للأطفال عروض مبتذلة، إما عن طريق إعادة تقديم

عروض الشاشة التلفزيونية بطريقة كرتونية ركيكة، أو تقديم ألعاب ومسابقات تترافق مع العرض. كل ما ذكرناه، ساهم في تكوين نظرة شعبية عامة ترى في مسرح الطفل مكاناً للترفيه المجاني فقط.

وترصد الدراسات حول مسرح الطفل العربى وجود العديد من المشكلات وذلك على النحو الآتي:

1 – إن كثيراً من مؤلفي مسرحيات الأطفال يكتبون نصوصاً هي مجرد صياغة للنصائح والمعلومات في شكل حوار، ولا يراعون العناصر الفنية المختلفة من حبكة مسرحية، ورسم واضح للشخصيات، وصراع مشوق، فالنص المسرحي الذي يشكل حجر الأساس في بناء العرض المسرحي. ولا تزال معظم النصوص تتسم بالتفكك والوقوع بالمباشرة المقيتة، وذلك يأتي بالدرجة الأولى من حالة استسهال الكتابة للطفل. هكذا، غالباً ما يتناسى كتاب مسرح الطفل الشرط الأساسي للمسرح، ألا وهو المتعة، فتغدو حكاية العمل هشة لا تشكل أي حافز للتفاعل معها، ويتحول العرض المسرحي بأكمله إلى محاضرة أخلاقية أو درس تربوي ممل.كما غاب عن كتّاب المسرحيات الالتفات إلى أعماق الحضارة العربية، وما خلفته من كنوز فكرية وعلمية وثقافية تمثل مادة ثرية للمسرح وتحقق هدفاً هاماً، وهو استحضار الشخصية العربية في أعظم صورها، وحفز الطفل إلى استعادة أمجاد أجداده.

2 – اعتماد كثير من كتّاب مسرح الطفل يعتمدون في مضامينهم على الأفكار والمواد والقوالب الجاهزة المستمدة من التراث، وإعادة تقديم هذه المواد في شكل مسرحي دون إضافة أو تحوير، وإغفال مشكلات الأطفال في الحاضر. كما أن لغة بعض المسرحيات وخطابها ومضامينها غير متوافقة مع الفئات العمرية الموجهة إليها.

3 – اعتماد مسرح الطفل على القصص الخيالية البعيدة عن الواقع، التي تعتمد على الخيال والأحلام وقصص السندريلا والأقزام تشكل النواة التي يرتكز عليها مسرح الطفل في العالم العربي اليوم، وهي التي تؤدي–حتماً–إلى أن يغرق الطفل في الأحلام والخيال إلى أن يكبر، ويصطدم بأرض الواقع. فهناك سيطرة للتناول العاطفي لمسرح الطفل في وسائل الإعلام، التي يبدو أنها تفتقر إلى مقومات التناول العلمي الموضوعي لهذا المسرح، مما يحول دون رؤية العناصر الحقيقية المكونة له في واقع الأمر.

4 – إن مسرح الطفل على الصعيدين المحلي والعربي يفتقر إلى شبكة من العلاقات المؤسساتية بين مختلف الجهات المعنية به، حيث يتعين على المؤسسة المسؤولة عن مسرح الطفل التنسيق والتخطيط بين ومع المؤسسات التربوية والتعليمية والإعلامية بحيث يكون هناك منظومة متكاملة ومتوافقة في رؤيتها لمسرح الطفل في واقعه ومستقبله. (باسل أبو حمدة، 2011، ص 1)

وترجع أسباب المشاكل التى يعاني منها مسرح الطفل العربي إلى الأسباب والعوامل الآتية:

1 – عدم الاهتمام بالدرجة الكافية للغتنا العربية بهذا النوع من الكتابة الخاصة بالأطفال، وذلك عبر تاريخنا القديم على الرغم من أن هناك أدباً خاصاً بالأطفال كالأغاني والقصص والسيرة...إلخ.

2 – صعوبة وعسر الكتابة الإبداعية للطفل، نظراً لكون هذه المرحلة تتطلب الإلمام بهذا الكائن الصغير واهتمامه إن مسرح الطفل بالفعل ليس لعبه ساذجة، بل هو مغامرة إبداعية تحيط بها كثير من الصعوبات.لأن الكاتب المسرحى يقدم لجمهور الأطفال الحركة والفعل إضافة إلى الفرجة والاستمتاع.

3 – غياب بنيات تحتية للعمل فى هذا الميدان.

4 – الموقف الثقافي فى مسرح الطفل، وهذا الموقف، إنما يدل على عدم استيعاب أهمية هذا اللون الدرامى.

5 – إحجام بعض الكتاب والمؤلفين عن الخوض في هذا الميدان، وهذا يدل صراحة على الدونية التي ينظر بها إلى هذا النوع من المسرح، إذ الكاتب ينصب نفسه في مرتبة مترفعة عن الطفل، ويعتبر ذلك الفن إنما هو سن زائل وماض لا قيمة لهذه المرحلة الطفولية».

ثامناً: رؤية مقترحة لتفعيل دور مسرح الطفل العربي:

إن القضية الأساسية فى مسرح الطفل هي كيفية توظيف الدراما لكي تصبح أداة تدريسية تساعد في بناء مهارات الأطفال وتعزز فهمهم، ويشارك في هذا الإعداد التربويون وأولياء الأمور والمشتغلين بقضايا الطفل حتى يصلوا إلى تصور مقترح لمحتوى المسرحية التي يتم صياغتها صياغة درامية من قبل متخصص، يملك الحرفية في التعامل مع الأطفال، ويكون ملماً باللغة المناسبة والمحتوى التعليمي المقدم، ويضع في حساباته طبيعة الأطفال وخصائصهم ، ويشعر فيها الأطفال بالتعايش مع العمل الدرامي الذي يشاركون في صنعه، ويستعدون لتمثيل الشخصيات الدرامية بالمسرحية، وكل ذلك يزيد اتجاه الأطفال نحو تعلم المواد الدراسية.

أ-منطلقات الرؤية المقترحة:

تنطلق هذه الرؤية من المنطلقات الآتية:

- الإيمان بأهمية مسرح الطفل كأحد أهم روافد تنمية ثقافة الطفل، وأهمية تعزيز دوره في تنمية شخصية الطفل وإطلاق قدراته الإبداعية لما يتوافر فيه من إمكانيات يتميز بها عن باقى الوسائط الثقافية، كقدرته على تنمية وجدان الطفل وغرس القيم والأفكار، وقدرته على تبسيط المعلومات وعرضها فى صورة مجسدة وواقعية.
- أهمية تحديث وتطوير مسرح الطفل من خلال الإفادة من الإمكانيات التى أتاحتها الثورة التكنولوجية من مؤثرات ووسائط سمعية وبصرية وحركية تسهم فى جذب انتباه الطفل وتفاعله مع العروض المقدمة.
- إن مسرح الطفل الحديث لا يقتصر على عرض الشخصيات الخرافية أو الوهمية كما كان الأمر فى الماضي، بل إنه يركز على عرض المعلومات والحقائق العلمية ومشاكل المجتمع والعصر للطفل وتفاعله معها.
- ينطلق استخدام المسرح من نظريات علم النفس الحديثة حول التعلم من خلال النموذج، واللعب الإيهامى أو التخيلي، وتمثيل الأدوار.
- أهمية تنسيق الجهود بين مختلف مؤسسات الدولة والقطاع الخاص للنهوض بمسرح الطفل العربي، من كليات التربية ووزارات التربية، والتعليم والثقافة والشباب، ومؤسسات المجتمع المدني ويقع عبء كبير على الدولة نظراً لأن هذا النوع من المسرح يقوم بدور ثقافي أكثر منه ربحي.

الآليات والوسائل:

تعتمد الرؤية المقترحة على العديد من الخطوات التى يجب القيام بها لتفعيل دور مسرح الطفل العربي، بما يعزز من قدرته على القيام بدوره بشكل فعال، وذلك على النحو الآتي:

1 – ضرورة تعزيز مكانة مسرح الطفل العربى، واعتماده في مؤسساتنا التعليمية ومناهجنا التربوية، وتوظيفه لتحقيق الأهداف التربوية وغرس القيم العربية الأصيلة المنشودة، وإحياء

التراث القديم مع تحديثه وتطويره عن طريق ابتكار شخصيات جديدة من العرائس يحبها الأطفال.

2 – ابتكار موضوعات جديدة تثري مسرح الطفل، وتسهم فى التواصل مع المجتمع العالمي، يتم من خلالها مناقشة القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية على المستوى القومي والعالمي مثل قضايا: الحرب والسلام، تعليم الفتاة، قضية فلسطين، المساواة بين البشر...... إلخ. وذلك بأسلوب سهل وبسيط يفهمه الأطفال.

3 – إذا كان الأطفال أكثر انجذاباً إلى العرائس المجسمة، كان لزاماً علينا أن نبدع في خلق شخصيات جديدة يتعايش معها الأطفال ويألفونها حتى يمكن أن يتعلموا منها الكثير، ولابد أن نركز على اختيار الألوان، فالطفل الصغير يحب الألوان الجذابة، التي تثير انتباهه، وكذلك عنصر الحركة والإبهار، الذي يمثل حجر الزاوية في جذب الانتباه والتركيز من قبل الأطفال، ومراعاة مناسبة المسرحية للمستوى العمري والعقلي للأطفال. وانتخاب أفضل الأغاني الهادفة على الساحة العربية –والتي تحوز على رضا وإعجاب الأطفال –وتقديم مضمون تربوي أو تعليمي يتماشى مع النغمات المصاحبة لتلك الأغاني، ويقوم الأطفال بتقديمها على خشبة المسرح، والقيام بالأداء الحركي المناسب الذي يسهم في تنمية المهارات الحركية للأطفال، فضلاً عن الأداء التمثيلي للمضمون التربوي أو التعليمي.

4 – لا بد من دعوة جميع معاهد وكليات التمثيل والمسرح في الوطن العربي إلى أن تولي مسرح الطفل أهمية كبرى خلال مناهج دروسها وبرامج تطبيقاتها، وبالتالى العمل الجاد على فتح أقسام – مسرح الطفل–في هذه المعاهد والكليات أسوة بالأقسام الأخرى فيها، كي ترقد هذه الأقسام مستقبلاً حركة مسرح الطفل بالمخرجين والممثلين والكتاب والنقاد المتخصصين.

5 –ضرورة اهتمام الجهات الرسمية بمسرح الطفل أولاً، وربما لأسباب اقتصادية أساساً حيث إنه من النادر وغير المتوقع الآن على الأقل أن يدخل القطاع الخاص في نشاط إنتاج مسرحية للطفل، بل برنامج مسرحي كامل لموسم وإلى ما شاء الله نظراً لتوقع البعض عدم ضمان ربحية ذلك المسرح تجارياً، وربما لأسباب أخرى مثل عدم وجود الوعي الكامل لدى أصحاب رأس المال العربي للاستثمار في الفن المسرحي للطفل. وفى كل الأحوال فضرورة تدخل الحكومات ودعمها من الأمور الهامة

6 – علينا الاستفادة من الثورة التكنولوجية ووسائلها المتنوعة، وتطوير مسرح الطفل ليواكب ثورة الإنترنت بما تتيحه من إمكانيات وذلك من خلال:

أولاً: عمل صفحات عن مسارح الطفل فى الوطن العربى. تضم هذه الصفحات. تاريخ فرق مسرح الطفل ورواده. (مؤلفون مخرجون – ممثلون – أدباء – شعراء – ملحنون مطربون).

ثانياً: ترجمة هذه الصفحات إلى عدة لغات بحيث لا تقل عن خمس لغات حية.

ثالثاً: فتح حوار مع المؤسسات الدولية والعالمية التى تهتم بالطفل عامة ومسرح الطفل خاصة.

المراجع

أحمد إسماعيل (2012). مسرح الطفل من النص الى العرض، مجلة الأدبي، ع (1289).

أحمد على كنعان (2011). أثر المسرح في تنمية شخصية الطفل، مجلة جامعة دمشق –المجلد 27 -العدد الأول، ص ص 87-138.

أحمد فؤاد عبد الحميد بكري(2005). مسرح الطفل العربي بين الواقع والمأمول، النبأ، العدد(74).

باسل أبو حمدة (2011). مسرح الطفل والوعي الإعلامي العربي، البيان، فى 13 فبراير2011.

جمال أبو رية (1986). المسرحية التلفزيونية للأطفال، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

حسن مرعي (1993). المسرح المدرسي، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان.

حمدى الجبري (2002). مسرح الطفل في الوطن العربي، القاهرة، مكتبة الأسرة.

زينب عبد المنعم (2007). مسرح ودراما الطفل، الطبعة الأولى، القاهرة، عالم الكتاب .

عامر السويدانى(2015). المسرح المدرسي.. (مطلب أساسي أم ثانوي؟)، مجلة المعرفة، عدد(243)، 2015/12/6.

عدنان أبو ناصر(2003). مسرح الدمى ودوره في إكساب القيم التربوية للأطفال، مجلة المعرفة السورية، وزارة الثقافة، دمشق، العدد481، ص(90-100) .

قاسم محمد (1983). مسرح الطفل، بحث مقدم إلى ندوة ثقافة الطفل فى المجتمع العربى الحديث ، الكويت سنة1983 .

محمد حامد أبو الخير(1996). عبد التواب يوسف ومسرح الطفل العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

محمد حسن عبد الله (2001). قصص الاطفال ومسرهم ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع .

محمد مبارك الصوري (1997). مسرح الطفل وأثره في تكوين القيم والاتجاهات، حوليات كلية الآداب بالكويت الحولية الثامنة عشرة.

مديحة عبد الكريم محمد عمر (2011). مسرح الطفل فى مصر والعالم، القاهرة، دار غريب.

مفتاح محمد دياب(1995). ثقافة وأدب الاطفال، الدار الدولية للنشر والتوزيع، مصر.

نادر القنة (2008). دراسة حول مسرح الطفل عند السيد حافظ، الوحدة. ص.338.

هادي نعمان الهيتي (1986). أدب الأطفال فلسفته، فنونه، وسائطه، بغداد, دار الشؤون الثقافية العامة.

هانى درويش (2008). الطفولة بين الإبداع والتلقي، مجلة الطفولة والتنمية، مج4.

هبة مازن (2015). مسرح الطفل، عمان، دار أمجد للنشر والتوزيع.

وررينفريد، وارد (1966). مسرح الأطفال، ترجمة محمد شاهين الجوهري، مطبعة المعرفة. القاهرة.

UNICEF (2015). Global Initiative on Out-of-School Children

UNESCO (2014). Learning for All Report. Paris